د شوقي أبو خليل

أحبّ أن أعرف
تاريخ أمتي

محمّد رسول الله صلّى الله عليه وسلم

من البعثة إلى الهجرة

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

د. شوقي أبو خليل

محمّد رسول الله صلى الله عليه وسلم

من البعثة إلى الهجرة

الرقم الاصطلاحي للسلسلة: ٠١١, ٣٠٢٦
الرقم الاصطلاحي للحلقة: ٠١١, ٠٨٨١
الرقم الدولي للسلسلة: ISBN: 1-57547-113- 2
الرقم الدولي للحلقة: ISBN: 1-57547-118 -3
الرقم الموضوعي: ٨٧٠
الموضوع: أدب الأطفال
السلسلة: أحب أن أعرف تاريخ أمتي
العنوان: محمد رسول الله ﷺ من البعثة إلى الهجرة
إعداد: د. شوقي أبو خليل
رسوم وإخراج: المكتب الفني - دار الفكر
الإشراف: محمد سرور علواني
الصف التصويري: دار الفكر - دمشق
التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق
عدد الصفحات: ١٦ ص
قياس الصفحة: ١٧×٢٥سم
عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من
دار الفكر بدمشق

برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية
برقياً: فكر
فاكس ٢٢٣٩٧١٦
هاتف ٢٢٣٩٧١٧، ٢٢١١١٦٦
http://www.fikr.com/
E-mail: info @fikr.com

إعادة
١٤٢٢هـ=٢٠٠١م
ط١: ١٩٩٣م

زينة : يَاسَامِرُ ، يَاعامِرُ ، اليومَ جلستُنا العلميَّةُ التَّاريخيَّةُ .

سامر : نعم ، وسنتابعُ سيرةَ نبيِّنا الكريم ﷺ .

عامر : سيحدِّثُنا والدُنا العزيزُ عن السِّيرةِ النَّبويَّةِ العَطِرَةِ ، من البعثـةِ إلى الهجرةِ .

زينة : هل سجَّلتُما بعضَ الأسئلةِ ؟

سامر : سأسأَلُ والدي عن طبيعةِ رسالةِ الإسلامِ وخصائصِها .

عامر : وأنا سأسأَلُ والدي عن (عامِ الحزنِ) .

زينة : وأنا سأسأَلُ والدي السؤالَ التَّاليَ : لماذا اختارَ ﷺ يثربَ (المدينةَ المنوَّرةَ) داراً للهجرةِ ؟

وهنا .. تدخل ديمةُ الصَّغيرةُ لتقولَ لإخوتِها : بابا وماما ينـاديـانكم ، حملَ سامر أُختَهُ ديمة وقبَّلَها ، وسارَ معَ إخوتِـهِ إلى غرفـةِ الجلوسِ ، وحينمـا دخلوهـا قالوا : السَّلامُ عليكم .

ردَّ الوالـدانِ السَّـلامَ ، بينمـا كانَ الأولادُ يتحلَّقـونَ حـولَ المنضـدةِ ، وقـال الأبُ : أهلاً بكُم يا أبنائي الأعزَّاءَ ، سنتابِعُ اليومَ عرضَ سيرةِ نبيِّنا الكريمِ ﷺ من البعثةِ وحتَّى الهجرةِ ، وسنبدأُ من غارِ حِراءَ .

يومَ الإثنين ١٧ رمضان ، نزلَ جبريلُ بالوحي عليه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، وقال : « يـا محمَّـدُ أنتَ رسولُ اللهِ حقّـاً ، وأنـا جبريل » ، وتلا عليـه : ﴿ ٱقْرأ بِٱسمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ .. ﴾ .

الأُم : عاد ﷺ إلى بيتِـهِ ، وقصَّ على زوجِـهِ خـديجـةَ مـا رأى ومـا سمعَ ، والزَّوجةُ أعلمُ النَّاسِ بزوجِها ، فقالت : واللهِ لن يُخزيَكَ اللهُ أبداً ، إنَّـك لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وتَصْدُقُ الحديثَ ، وتؤدِّي الأمـانـةَ ، وإنَّ خُلُقَـكَ لَكَرِيمٌ ، ثمَّ انطلقت إلى وَرَقَـةَ بنِ نَوْفل ـ وهو عـالمٌ عـابـدٌ ـ فـأخبرتْـهُ مـا أخبرَهـا بـه ﷺ ، فقـالَ ورقةُ : واللهِ إنَّ ابنَ عمِّكِ لصادقٌ ، وإنَّهُ لبـدءُ النُّبوَّةِ ، وإنَّـهُ لَيـأتيـهِ النَّـاموسُ الأكبرُ ، أي جبريلُ عليه السَّلامُ .

الأب : لقد كان ﷺ في الأربعين من عُمُرِهِ عندما نزلت عليه أُولى كلماتِ القرآنِ الكريمِ : ﴿ ٱقرأ ﴾ ، إنَّها عظمةٌ لأُمَّتِنا ـ وللعالَمِ كلِّه ـ أن تكون ﴿ ٱقرأ ﴾ بدءَ شريعتها ، إنَّ ﴿ ٱقرأ ﴾ يا أبنائي نورٌ انطلق من حراء لتشرقَ به جنباتُ الأرضِ حضارةً ورُقيّاً وإخاءً وإنسانيَّةً .

سامر : ما طبيعةُ هذه الرِّسالةِ الَّتي بدأت بِـ ﴿ ٱقرأ ﴾ ؟

الأب : شريعةٌ عامَّةٌ لكلِّ النَّاسِ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ ﴾ ، [الأنبياء : ١٠٧/٢١] .

الأُم : وتخاطب العقلَ ، لا أسرارٌ ولا رموزٌ : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الألْبابِ ﴾ ، [الزُّمر : ٩/٣٩] .

الأب : ومعجزةً خالدةً باقيةً ، حقائقُها ثابتةٌ مهما تقدَّم العِلْمُ وارتقى ، فهي تنزيلٌ من مُهَيْمنٍ عليمٍ خبيرٍ .

الأُم : لذلكَ نسمعُ بينَ آونةٍ وأُخرى إعلانُ إسلامِ كبارِ العلماء في الغربِ ، على اختلافِ اختصاصاتِهِمُ العلميَّةِ .

الأب : إنَّهم يسلِّمونَ بالقرآنِ الكريمِ معجزةً خالدةً .

زينة : ألا يكفينا فخراً أنَّ أُولى درجاتِ ارتقاءِ العِلْمِ ﴿ اقرأ ﴾ هي أُولى كلماتِهِ ؟!

عامر : لقد بدأت الدَّعوةُ الإسلاميَّةُ بنزولِ الوحْي ، وَمن ثَمَّ ؟

الأب : وبقيت الدَّعوةُ سِرّاً ثلاثَ سنين ، أسلم خلالَها عددٌ من الصَّحابة ، ثمَّ نزلت الآيةُ الكريمةُ : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِينَ ﴾ حلقة أُولى ، ثمَّ أُمِرَ بتبليغِ قبيلتِه وقومِه : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى ـ أي مكَّة ـ وَمَا حَوْلَهَا ﴾ ، [الشُّورى : ٧/٤٢] ، حلقة ثانية ، ثمَّ بعدَ قريشٍ والعرب كلِّهم ، تأتي الحلقةُ الثَّالثةُ ، البشريَّةُ جمعاءُ ، والعالمُ كلُّه وهو الهدف : ﴿ وَمَا أرسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ ﴾ .

الأُم : وعندما جهر ﷺ بالدَّعوةِ سَفَّهَ وثنيةَ قريشٍ ، وعبادتَها الأصنامَ ، فناصبوهُ العداءَ ، وعذَّبوا المسلمين ، وكان ﷺ في حمايةِ عمِّه أبي طالبٍ .

الأب : لقد كان ﷺ صابراً مثبِّتاً لأصحابه ، فهو على يقينٍ بانتصار الإسلامِ وانتشارِ التَّوحيدِ .

الأُم : وعلى الرَّغم من اضطهادِ قريشٍ وعداوتِها كانت تهابُه ﷺ .

الأب : طاف ﷺ بالبيتِ يوماً ، ووجهاءُ قريشٍ وسادتُها جالسون في فِنائِهِ ، فكلَّما مرَّ ﷺ غمزوا بالقول ، فيبدو ذلك في وجهه ﷺ ، ولما أتمَّ طوافَهُ سبعةَ أشواطٍ ، التفتَ إليهم وقالَ ﷺ : يا معشرَ قريشٍ ، شاهتِ الوجوهُ ، وأرغمَ الله هذهِ المعاطس ـ أي الأُنوف ـ، فراعهُم قولُهُ وأفزعَهُمْ ، وقالوا : اذهب أبا القاسِمِ موفوراً ، ما علمنا عليكَ شرّاً قطُّ .

الأُم : وكان أبو جهل أشـدَّ النَّـاسِ عـداوةً وبغضـاً لرسول الله ﷺ ، وكانَ لبعضِ العربِ دَيْنٌ عليه فماطلَهُ ، ثمَّ امتنعَ عنِ السَّدادِ ، فاستعـانَ الرَّجُلُ ببعضِ زعماءِ مكَّةَ ممن هم على شاكلةِ أبي جهلٍ ، فأحالوهُ على محمَّد ﷺ متهكِّمينَ منه ، فـذهبَ إليـه الرَّجـلُ يستعينُ بـهِ ، فـذهبَ ﷺ إلى بيتِ أبي جهـلٍ ، وطرقَ البابَ ، فخرج إليه ، فقالَ لهُ ﷺ : أدِّ للرَّجلِ دَيْنَهُ ، فـأحضرَ المـالَ ، وسـدَّدَ الدَّينَ صاغِراً ، وصارَ أبو جهلٍ أُضحوكةَ الجاهليِّينَ أشباهِهِ .

الأب : بدأ الإسلامُ يجدُ طريقَهُ إلى القبائِلِ ، فازدادت مناوأةُ قريش ، وازدادَ إيذاؤها للمسلمينَ ، فأذِنَ ﷺ للمسلمينَ بالهجرةِ إلى الحبشةِ ، حيث سمِعَ ﷺ بتسامحِ ملكِها (النَّجاشيِّ) وحسنِ خُلُقِهِ .

الأُم : لقد أرسلتْ قريشٌ مَن يطلبهُمْ منهُ لإرجاعِهِمْ إلى مكَّةَ حيثُ العذابُ والاضطِّهادُ .

الأب : لقد رفضَ النجاشيُّ إعادتَهم إلى قُريشٍ ، بعدما سمِعَ من جعفرِ بنِ أبي طالبٍ آياتٍ من القرآنِ الكريمِ فيها احترامٌ للسَّيِّدِ المسيحِ ، ومما قالَهُ جعفرُ للنَّجاشيِّ : « أيُّها الملكُ ، كنَّا قوماً على الشِّركِ ، نعبدُ الأوثانَ ، ونأكُلُ الميتةَ ، ونُسيءُ الجوارَ ، يستحلُّ المحارِمَ بعضُنا من بعضٍ في سفكِ الدِّماء وغيرها ، لا نُحِلُّ شيئاً ولا نُحرِّمُه ، فبعَثَ اللهُ إلينا نبيّاً من أنفسِنا نعرفُ وفاءَهُ وصدقَهُ وأمانتَهُ ، فدعانا إلى أن نعبدَ اللهَ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ ، ونصِلَ الأرحامَ ، ونحميَ الجوارَ ، ونصلي للهِ عز وجل ، ونصومَ لهُ ولا نعبدُ غيرَهُ » .

الأُم : عندها قرَّرت قريش مقاطعةَ كلِّ بني هاشِمٍ وبني عبدِ المطَّلِبِ في شِعبٍ عُرِفَ باسم : (شِعبِ أبي طالبٍ) .

الأب : أقامَ بنو هاشِمٍ وبنو عبدِ المطَّلِبِ في الشِّعْبِ ثلاثَ سِنينَ ، قطعتْ قريش خلالَها الطَّعامَ ، إلاَّ ما كانَ يَصِلُهُم سِرّاً ، وعلَّقت صحيفةً في جوفِ الكعبةِ تَنُصُّ على المقاطعةِ التَّامَّةِ .

الأُم : أخبر ﷺ عمَّهُ أبا طالب أنَّ (الأَرَضَةَ) ـ وهي دودةٌ بيضاءُ تُشبِهُ النَّملةَ ـ أكلت ما كانَ في الصَّحيفةِ من جَوْرٍ وظلمٍ ، وبقيَ اسمُ اللهِ عزَّ وجلَّ فقط .

الأب : ذكرَ أبو طالبٍ ذلكَ لإخوتِهِ ، وخرجوا إلى المسجدِ ، فقالَ

أبو طالبٍ لكفَّارِ قريشٍ : إنَّ ابنَ أخي قد أخبرني ولم يكذِبْني قطُّ ، أنَّ الله قَـد سَلَّطَ على صحيفتِكُمْ (الأرَضَـةَ) فـأكلَتْ كلَّ مـا فيهـا من جَـوْرٍ ، أو ظلمٍ ، أو قطيعةِ رحمٍ ، وبقي فيهـا كلُّ مـا ذُكِرَ بـهِ الله ، فـإن كانَ ابن أخي صـادقـاً رجعتُمْ عن سوءِ رأيِكُمْ ، وإن كانَ كاذِباً دفعتُهُ إليكُمْ فقتلتُمُوهُ أو استحييتُموهُ ، قالوا : قد أنصفَنـا أبو طـالب ، فـأرسلوا إلى الصَّحيفـةِ ففتحوهـا ، فـإذا هي كما قالَ ﷺ ، فخرجوا من شِعبِ أبي طالبٍ .

عامر : وما عامُ الحزنِ يا والدي ؟

الأب : في السَّنـةِ العـاشرةِ من البعثـةِ ، بعـدمـا خرجَ بنـو هـاشمٍ وبنـو عبـدِ المطَّلبِ من الشِّعبِ توفِّي أبو طـالبٍ ، ثمَّ خـديجـةُ ، وبينهما شهرٌ وخمسـةُ أيَّـامٍ فقـط ، فحـزنَ النَّبيُّ ﷺ والمسلمونَ جميعـاً ، فسُمِّي هـذا العـامُ : (عـامَ الْحُزنِ) .

الأُم : ولمـا توفِّي أبو طـالبٍ اجترأت قريشٌ على رسـولِ اللهِ ﷺ ، فخرجَ إلى مدينةِ الطَّائفِ ، ومعهُ زيدُ بنُ حارثـة آملاً إسلامَ أهلِهـا ، ولكنَّـه عـادَ إلى مكَّةَ وهو محزونٌ إذ لم يستجِبْ لهُ رجلٌ واحدٌ من أهلِها ، ومعَ ذلـكَ قـالَ ﷺ لزيدٍ : « إنَّ الله جاعِلٌ لما ترَى فَرَجاً ومخرَجـاً ، وإنَّ الله نـاصرٌ دينَـهُ ، ومظهِرٌ نبِيَّهُ » .

الأب : وفي هـذه الفترةِ ، بعـدَ عـامِ الحـزنِ ، وبعـدَ رحلـةِ الطَّـائِفِ كانت معجزةُ (الإسراءِ والمعراجِ) ، بقدرةِ اللهِ الَّتي لا تحدُّها حدودٌ : ﴿ سُبْحَانَ الَّـذي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى ﴾ ، [الإسراء : ١/١٧] .

الأُم : اتَّجهَ ﷺ في نشاطِهِ إلى الدَّعوةِ خارجَ مكَّة ، فلقي عدداً من أهلِ يثربَ في مكانٍ يدعى (العَقَبَةَ) بين مِنَى ومكَّة ، فأسلمَ اثنا عشر رجلاً ، وهذه : بيعةُ العقبةِ الأُولى ، وعاد هؤلاء المسلمون إلى يثربَ ومعهم مصعبُ بنُ عميرٍ معلِّماً مفقِّهاً .

الأب : وفي موسمِ العامِ التَّالي ، عاد مصعبٌ إلى مكَّة ، وخرج المسلمون معه ، فكانت بيعةُ العقبةِ الثَّانيةُ ، الَّتي فاجأت قريشاً ، بعد أن بايعَ ثلاثةٌ وسبعونَ رجلاً وامرأتانِ رسولَ اللهِ ﷺ : « .. أنا منكُم وأنتُم منِّي ، أُحارِبُ مَن حاربتُم ، وأُسالِمُ مَن سالمتُم .. » .

الأُم : انتقلت قريشٌ بعد بيعةِ العقبةِ الثَّانيةِ من الإيذاء إلى الإفناء ، فدبَّرت لقتلِ رسولِ الله ﷺ ، فأذِنَ اللهُ لنبيِّهِ بالهجرةِ .

الأب : نامَ عليٌّ رضي الله عنه في فراشِ رسولِ الله ﷺ مطمئناً ، فلقد قال له ﷺ : « فإنَّهُ لن يَخْلُصَ إليكَ شيءٌ تكرهُهُ منهُم » .

الأُم : خرج ﷺ في غايةِ الهدوءِ والأمنِ متمهِّلاً ، ووضع حفنةً من التُّرابِ على رؤوسِ مَن حاصرَ دارَهُ ، خرجَ ليُهاجِرَ معَ أبي بكرٍ رضي الله عنه .

الأب : جُنَّت قريشٌ ، وطارَ صوابُ أبي جهل ومَنْ معه ، عندما علموا بخروجِ رسولِ الله ﷺ ، وأحدقوا بعليٍّ رضي الله عنه ، وحاولوا بكلِّ وسيلةٍ أن يعرفوا منه مكانَ وجودِ رسولِ اللهِ ، وعبثاً حاولوا ، فلمَّا استيأسوا منه أطلقوه ، فقام علي رضي الله عنه ينادي في مكَّة: من كانَ لهُ عندَ رسولِ الله ﷺ وديعةٌ فليأتِ تؤدَّ إليهِ أمانتُه .

الأُم : وكانَ دليلُ طريقِ الهجرةِ (عبدَ اللهِ بنَ أُريقـط) ، ومع أنَّـه مشركٌ لم يَخُن لصداقتِه مع أبي بكر رضي الله عنه ، والخيانةُ سُبَّةٌ كبيرةٌ عندَ العربِ .

الأب : وفي ١٢ ربيـع الأوَّل سنـة ١٤ من البعثـة ، المـوافـق ١٨ تمـوز سنـة ٦٢٢ م ، وصـل الرَّكبُ المبـاركُ إلى (قُبـاءَ) ، ولمـا أراد ﷺ دخـولَ المـدينـةِ (يثرب) ، أضاء منها كلُّ شيء ، يقولُ أنس رضي الله عنه : شهدتُ يومَ دخولِ رسولِ الله ﷺ المدينةَ فلم أرَ أحسنَ منهُ ولا أضوأ .

الأُم : لقد ازدانت المدينةُ ، ولبسَ النَّاسُ أحسنَ ملابسِهم كأنَّهُم في يومِ عيدٍ ينشدونَ ويضربونَ بالدُّفوفِ :

طَلَـعَ البـــدرُ علينـــا من ثنيَّـــاتِ الـــوداع
وجبَ الشُّكرُ علينـــا مـــا دعـــا للهِ داع
أيُّهـــا المبعـوثُ فينـــا جئتَ بـــالأمرِ المطـــاع

زينـــة : جمَّع ﷺ المسلمينَ في مـوطنٍ واحـــدٍ ليُمكِّنَهُم مِنَ الـــدِّفـــاعِ عن أنفسِهِم ، والدَّعوةِ إلى دينِهم والجهرِ بهِ ، وأصبحت مصالحُ قريش التِّجـاريَّـةِ في خطرٍ في ذهابها إلى الشَّامِ وإيابِها منها .

سامر : لقد سجَّلنـا في مفكِّراتِنـا أهمَّ النُّقـاطِ الَّتي ذُكِرَت في جلسـةِ اليوم ، شكراً يا بابا ، شكراً يا ماما .

عامر : وأنتِ يا ديمة ، ماذا حفظتِ اليوم ؟

ديمة : نزلَ الوحيُ على رسولِ اللهِ ﷺ وهو في غارِ حراء ، وعذَّبت قريشُ المسلمين ، فهاجروا إلى الحبشة ، ثمَّ إلى المدينةِ المنوَّرةِ .

ضحكَ الجميعُ وقالوا : أحسنت يا ديمة ، أحسنتِ يا ديمة .

أحبّ أن أعرف

(تاريخ أمتي)

١- مهد أجدادي.

٢- حضارة أجدادي.

٣- العرب قبيل الإسلام.

٤- محمد بن عبد الله ﷺ قبل البعثة.

٥- محمد رسول الله ﷺ من البعثة إلى الهجرة.

٦- محمد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة.

ISBN 1-57547-118-3

9 781575 471181